كليـــة التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: ١٨١٧-٦٧٩٨ (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

(Manifestations of innovation and creativity in Andalusian prose)

Dr. Behind Mahmoud Hussein Al - Jubouri

Department of Arabic
College of Education for Human Sciences
Tikrit University
Tikrit, Iraq

A B S T R A C T

The Andalusian prose started in a simple and humble way, and restricted to the orientation of massages and signatures and some other works by the Caliph . Thus it followed an Eastern methodology by imitation but at the beginning of the fifth century after Hijrah this kind witnessed a major development, and some of its writers were double- talented as the write in prose and poetry at the same time . we could see in this research, some innovation and creativity in this kind over its time span which is more than eight centuries

© ٢٠١٨ JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/١٠.٢٥١٣٠/jtuh.٢٥.٢٠١٨.٠٥

Keywords:
Introduction
The manifestations of renewal in the writings of the Andalusian writers
Renovation in the arts of Andalusia

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received ١٠ mars. ٢٠١٥
Accepted ٢٢ april ٢٠١٥
Available online ٠٥ xxx ٢٠١٥

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

تعزيز التنمية الشاملة والتباين من خلال التحقيق في مجموعة واسعة من الثقافات العالمية

د. خلف محمود حسين الجبوري / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الخلاصة

بدأ النثر الأندلسي بسيطاً متواضعاً يخطو خطوات متباطئة وكان يدار من قبل كتاب الدواوين الذين يعملون على توجيه الرسائل والتوقيعات وبعض الأعمال الأخرى التي يحتاجها الوالي أو الخليفة وبهذا الشكل كان ينحو منحى مشرقياً بالتقليد والعمل إلا أنه مع إطلالة القرن الخامس الهجري تطور تطوراً كبيراً وكان جل كتابه هم من أصحاب المواهب المزدوجة بين الشعر والنثر ، واستطعنا من خلال هذا البحث ان نتلمس مظاهر تجددية وإبداعه عبر مراحل زمنه التي دامت ثمانية قرون ونيف من الزمن .

توطئة

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

إذا كان الشعر بطبيعته يعبر عن الانعكاسات العاطفية للقيم الفكرية والفلسفية عند الشعراء ، فان النثر يمثل الوعاء الطبيعي الذي يصب الكاتب فيه تلك القيم والنظرات والأفكار التي وجدت في الأنواع النثرية .

ولعل هذا البحث يكشف عن دراسة تلك المضامين النثرية التي أعطت للنثر العربي بعداً جديداً نحو الإبداع والتطور ، حتى نستطيع أن نقول أن هذا النتاج والثراء الفكري حقق مداه ، فقد عالج الأدباء فنون النثر كلها فكتبوا الرسائل بمضامينها المتباينة كما وجد عندهم ما عرف بـ (رسائل الأنس أو آداب المترفين) إلى جانب الحكم والأمثال والتوقيعات والقصة الأدبية والفلسفية ، والتحليل النفسي والخلقي والسلوكي ، والمحاورات في مضامين لم يعرفها المشرق العربي كالمحاورات بين النواوير ، والمناظرات الخيالية الحية والجامدة ، فضلاً عن مجالات النقد والترجمة والسيرة والتاريخ التي أبدع فيها الأندلسيون أيّما إبداع ، وكل ذلك ناجم عن التأثر العميق بتجربتهم الخاصة بعد استقلال الشخصية الأندلسية وانبلاج مكانتها القومية .

النثر الأندلسي بين التقليد والتجديد

اختلفت آراء الدارسين وتباينت حول محوري التقليد والتجديد في النثر الأندلسي فمنهم من أنكر التقليد وأقرّ التجديد والإبداع ، ومنهم من رأى أنّ سمات الاتّباع والتقليد كانت واضحة في عصور الأندلس الأولى – أي في عهدي الولاية والإمارة – وحتى في عهد الخلافة ، ثم تلاها نضج وتطور ثم استقلال في الشخصية الأدبية الأندلسية ومن ثم إبداع متميز على مستوى الموضوعات النثرية وخاصة المناظرات وما تلاها من أفكار فلسفية .

لذلك فإنّ من الواجب الوقوف على بعض الآراء والأقوال التي وصفت النثر الأندلسي ووسمته بالتبعية والتقليد لنثر المشرق أو تلك التي تحدثت عن مظاهر التجديد والاستقلالية الفكرية والأسلوبية فيه .

ويرى الأستاذ محمد كرد علي أنّ كُتاب الأندلس قد اقتفوا خطى المشارقة في نثرهم وبقوا على هذا الاتجاه في مختلف عصورهم الأدبية [i] ، كما يرى الأستاذ مصطفى صادق الرافعي أن التبعية كانت في الطرق الأدبية والأساليب الفنية ، وحتى في أسماء الأفراد والكتب [ii] .

أما الدكتور شوقي ضيف فيرى أن مظاهر التقليد في أدب الأندلسيين كانت ظاهرة في كل نواحيه ، في فنونه ، وموضوعاته ، وأساليبه ، وفي شخصيته الفكرية ، لذا نراه يؤكد على ((أنّ الأندلسيين لم يستحدثوا لأنفسهم مذهباً جديداً في تاريخ النثر العربي)) [iii] ، بل وقفوا عند حدود محاكاة الكتاب المشرقيين [iv] .

ويبدو أن المستشرق أنخل بالنثيا كان منصفاً في قوله عندما تحدث عن أدباء الأندلس ووصفهم بأنهم كانت لهم أساليبهم ومناهجهم الفكرية ، وابتكاراتهم وطرقهم الفنية الجديدة ، وضرب مثلاً بأبي العباس الشريشي (ت٦١٨هـ) الذي شرح مقامات الحريري فأبدع وأضاف وجدد في شرحها ، وزاد من مكانتها وقيمتها الأدبية والفكرية[v].

ولاحظ الأستاذ أحمد حسن الزيات أن الأندلسيين قلدوا المشارقة في أدبهم ، وساروا على طرقهم وتأثروا بأساليبهم ، ولا ينكر أنهم مالوا إلى التجديد في أدبهم غرضاً وأسلوباً [vi] .

ونرى أن الأستاذ محمد رضوان الداية يتفق مع الزيات في أن أشد ارتباط الأندلسيين بأدب المشرق وأدبائه وصلت إلى حد التسمية ، إذ سمي كثر من أدباء الأندلس بأسماء أدباء مشارقة بارزين فلقّبوا الشاعر الرصافي البلنسي بابن الرومي ، وابن دراج القسطلي بالمتنبي [vii] ، كما أكد الدكتور الداية أن الأندلسيين مالوا للاستقلال في أدبهم وظهرت نزعتهم فيه من خلال عصبيتهم لبلدهم ووصف مدنهم وتغنيهم بها ومفاخرتها على غيرها من مدن المغرب والمشرق ، كما لاحظ أن الأندلسيين قد قلدوا المشارقة في مرحلة وتحرروا منهم في مرحلة أخرى ، فقد قلدوا في العمود الأولى إلى بداية القرن الخامس الهجري ، ثم رأى أنّ انشداد الأندلسيين بعد هذا القرن إلى تراثهم وأدبهم أكثر من انشدادهم لأدب المشرق وأساليب أدبائه[viii].

ويرى الدكتور زكي مبارك أن تأثير الأدب العربي المشرقي على الأدب الأندلسي وعلى كتابه وشعرائه كان قوياً في الحقب الأولى منذ بداية فتح الأندلس وحتى القرن الرابع الهجري ، ثم أخذ الاتجاه نحو تقليد المشرق يخبو في الأدب الأندلسي وبدت مظاهر الاستقلالية وظهور الشخصية الأندلسية ومؤثرات المجتمع والبيئة تظهر في أدب الأندلسيين شعراً ونثراً ، وخاصة في الموضوعات والأساليب والفنون الأدبية ، وإذا ما وصلنا إلى القرن السادس الهجري وما يليه ، فإننا نجد ملامح الشخصية الأندلسية والنزعة الوطنية تتغلب وتقوى ، وتتبلور سماتها في نواحي مختلفة من أدب الأندلسيين ، ومن أكثر تلك الموضوعات التي برزت فيها خصوصية المجتمع الأندلسي هي الموضوعات الاجتماعية والتاريخية والإقليمية الأندلسية [ix] .

وللدكتور حازم عبدالله خضر إسهاب طويل حول هذا الموضوع إذ يرى أنّ كثيراً من الدراسات النقدية قد تناولت هذا الموضوع وأكدت على فكرة التقليد في مناسبات عدة ، رابطاً عجلة النثر الأندلسي بالنثر المشرقي [x] ، وجعل جزءاً منه تابعاً له ومعتمداً عليه ، وتابع كثير من الأدباء والباحثين أصول هذا النثر ، وقد ذهبوا يلقون النظر على العلاقة بين آثار نثرية مشرقية وأخرى أندلسية ، وإذا وقفوا على أوجه شبه بين الاثنين قالوا : إن النص الأدبي مقلد للنص المشرقي ، كالذي حدث بالنسبة لرسالة التوابع والزوابع حين ربط البعض منهم بينها وبين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري مع أن بين الرسالتين فروقاً عديدة وأن الرسالة الأندلسية أسبق من الرسالة المشرقية ، كما أكد الكثيرون على أنّ أبرز أدباء الأندلس في ملكتي الشعر والنثر ، ومنهم ابن زيدون كان مقلداً للمشارقة في عدد من رسائله وأكّدوا بالذات على أنّ الرسالة الهزلية كانت مقلدة لرسالة التربيع والتدوير ، وربما رأى عدد من الباحثين أن تكون الصورة معكوسة فيقوم بتقليد بعض المشارقة لبعض الأندلسيين كالذي حدث بالنسبة لجملة من الآراء المقابلة في رسالة التوابع والزوابع ، وذكر الدكتور حازم أن إصدار الأحكام العامة المطلقة على النثر الأندلسي بأنه نثر مقلد مترسم لخطى أهل المشرق هو ليس صحيحاً ، وإذا اعتقدنا بأن هذا صحيح ، فهذا يعني أنْ لا وجود للإبداع والتجديد في النثر الأندلسي بصورة خاصة والأدب الأندلسي بصورة عامة ، والذي

يراه الدكتور حازم أن مثل هذا الحكم لا يصح أن يطلق في هذا الموضوع ، بل أنّ فكرة التقليد لا ينبغي أن تسحب على الآثار الأندلسية لتغطي بظلها الثقيل كل جهد ونتاج مهما كان فيه من ذوق وطبع وجمال[xi].

ومن الدارسين لمعاني التجديد في النثر الأندلسي الدكتور مصطفى السيوفي الذي يرى أن النثر هو الوعاء الطبيعي الذي يصب فيه الكتّاب قيمهم ونظراتهم وآرائهم الفلسفية ، ويرى أن الكتاب الأندلسيين مارسوا فنون النثر كلها فكتبوا الرسائل بمضامينها المتباينة كما وجد عندهم ما عرف بـ (رسائل الأنس أو أدب المترفين) إلى جانب الحكم والأمثال ، والتوقيعات ، والقصص الأدبية والفلسفية ، والتحليل النفسي والخلقي والسلوكي ، والمحاورات في مضامين لم يعرفها المشرق العربي كالمحاورات بين النواوير ، والمناظرات الخيالية بين الكائنات الحية والجامدة .

ويعدُّ بعض هذه الفنون ابتداعاً عند الأندلسيين كالصورة الخلقية والطبيعية والوصفية التجسيدية ، وقد أصدروا كل هذا عبر تجربتهم الخاصة بعد استقلال الشخصية الأندلسية وانبلاج مكانتها القومية [xii] .

ومن الدارسين لتجديد الأندلسيين في النثر العربي أيضاً إبراهيم موسى الذي يرى أن معظم الدارسين للأدب العربي في الأندلس في القديم والحديث يلتقون عند أمرين :

الأول : وضع هذا الأدب في مقابل الأدب العربي في المشرق وكأننا أمام أدبين مستقلين لا أمام أدب عربي واحد ومن ثم يرتّبون على هذه النظرة المنهجية الخاطئة أحكاماً فنية مغلوطة .

والآخر : النظر إلى الأدب العربي في الأندلس على أنه مجرد صدى للأدب العربي في المشرق ، وهي مقولة مترتبة بالطبع والوضع على المقولة الأولى ، التي تكاد لكثرة ترديدها تأخذ طابع المسلمات .

كما يرى أن القلة القليلة من الباحثين الذين يأخذون جانب الدفاع عن الأدب العربي في الأندلس ، ينطلقون في دفاعهم من النظرة المنهجية الخاطئة نفسها التي تستند إليها الطائفة الأولى ، ومن ثم يبالغون في إضفاء طابع الاستغلال عليه ويلتمسون له ملامح متميزة .

ويؤكد إبراهيم موسى أن الأدب العربي في الأندلس لم يكن تابعاً للأدب العربي في المشرق ولا مستقلاً عنه لسبب بديهي ، وهو أن هذا الأدب يمثّل جزءاً من الأدب العربي ، وعلى هذا الأساس فإننا لا يمكن أن نصفه بالتبعية ولا بالاستقلال[xiii] .

وخلاصة هذه الآراء أن الأدبين المشرقي والأندلسي مكتوبان بلغة واحدة هي اللغة العربية بكل ما تنطوي عليه من قواعد وأصول وفنون وعلوم ، ثم إن ثقافة الأدباء الأندلسيين هي ثقافة الأدباء المشارقة ، إذ أخذت الطائفتان من معين واحد ، وأن صلة الأندلس بالمشرق قوية ومستمرة .

وخاصة على الصعيد الثقافي والعلمي ، وهذا يعود إلى كثرة الرحلات المستمرة بينهم والتبادل الثقافي والأدبي للأندلسيين واهتمامهم بآداب وعلوم أهل المشرق .

فضلاً عن ذلك فإن الكثير من عرب الأندلس هم في الأصل من أهل المشرق وكانوا توّاقين إلى إخوانهم ويحدوهم الأمل والتطلع على أفكارهم ومستجدات ثقافتهم ، من كل هذه الأمور وغيرها جعلت الأندلسيين معنيّين بأهل المشرق وما يصدر عنهم ، لأنهم يحملون العادات والتقاليد والآمال نفسها ، وهذا ما يجعل أكثر الباحثين يلغون فكرة التقليد بين الأدبين .

ثم إن البيئة الأندلسية التقت مع البيئة المشرقية في أمور عدة ، غير أنها زادت عليها بجمال الطبيعة المتمثل بكثير من المشاهد التي وهبها الله لها من شجر وماء وخضرة وغيرها .

أضف إلى ذلك امتزاج العادات العربية الأصيلة مع العادات المحلية في الأندلس مما أدى إلى إفادة الشخصية الأندلسية وتكوين سماتها وملامحها في ظل الحكم الإسلامي للبلاد ، ولم يقف النثر العربي عند الأصول المشرقية وإنما زاد عليه في معاني وأغراض استمدها من البيئة الأندلسية ، وكان ثمرة ذلك مؤلفات جديدة بعيدة عن الأصول والملامح المشرقية كرسالة التوابع والزوابع وكتاب طوق الحمامة اللذين يختلفان كثيراً عن المؤلفات المشرقية ، فضلاً عن أن معاني النثر القصصي اتسعت وتعددت أغراض المقامات التي خالفت نظيرتها المشرقية في عدم الاعتماد على الاستجداء الذي قامت عليه المقامات المشرقية .

وكذلك اتسعت معاني الوصف لتشمل المناظرات التي اعتمدت على أسلوب القص في كثير من أغراضها .

أما التجديد على مستوى بناء القطعة النثرية فقد شهد تطوراً كبيراً باعتماده على عنصر الخيال في الصور البيانية والبديعية ، حتى أن الدكتور صلاح خالص ذكر أن ألفاظ الكاتب الأندلسي اتسمت بالسهولة والوضوح والميل على اعتماد الخيال[xiv] .

وقد لاحظنا أن أهم سمات التجديد والإبداع في النثر الأندلسي كامنة في رسالة التوابع والزوابع ، فضلاً عن وجود عدد من المظاهر التجديدية الإبداعية التي تتوافر عليها المؤلفات النثرية الأندلسية الأخرى .

مظاهر التجديد في مؤلفات الكتاب الأندلسيين

١. التوابع والزوابع لابن شُهيد الأندلسي (ت ٤٢٦ هـ) :

لعل الدافع الحقيقي الذي يقف خلف تأليف ابن شهيد لكتابه الشهير (التوابع والزوابع) هو دافع شخصي بالدرجة الأولى ، وذلك نابع من إحساسه بأن أهل عصره من الشعراء والكتاب لم ينزلوه المنزلة التي تليق به [xv] ، إذ لم يجد ابن شهيد في عصره من يقيم أدبه فأخذ يؤلف هذه الرسالة ، التي عرض فيها أدبه برحلة خيالية التقى فيها بشياطين القدماء .

ومن مظاهر التجديد التي انتبه إليها الدكتور مصطفى السيوفي فيما يتعلق برسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي هو أن ابن شهيد جعل رسالة التوابع والزوابع رسالة أدب وعلم وصناعة وفن ، ونقد ومناظرة ، كما جعلها معرضاً من معارض

بيانه وشعره وفنون وصفه ، كما أنه جعل منها بحق مقدمة طيبة لأبي العلاء المعري في (رسالة الغفران) .

وفيها يطالعك باستقصاء دقيق لكل أجزاء الصورة التي يسطرها وصفاً وبياناً ، ويظهر ذلك جلياً عند وصفه للبرغوث ، فيذكر أدق التفاصيل وكأنه يصنع صورة البرغوث تحت مجهره ويصفه وصفاً دقيقاً لكل عضوٍ من أعضائه .

وهنا تكمن عبقرية ابن شهيد في تجديده وتفرده بالخيال والأسلوب حتى قال عنه الدكتور ((ولقد بلغ في هذا من دقة التعبير والوصول إلى المعنى الذي قصده مبلغاً تشعر به النفوس وكأنما ترى بعينك المعنى أو تلمسه بيدك أو كأنك واقف معه ترى ما يراه هو ، أو كأنك تنظر إلى صورة واضحة تبين لك أجزاءها بألوانها المختلفة من كل دقيق وعظيم)) [xvi] .

ثم لاحظ الدكتور السيوفي إلى نتاج ابن شهيد من الناحيتين الأدبية والنقدية فوجد أنه يمثل مرحلة من مراحل النظر والتحليل ، وبعده الفكري والانكفاء على الذات ، فهو بطبعه فيلسوف نفساني ينطلق من عالم الوجود الأدبي [xvii] .

ويرى محقق ديوانه الأستاذ يعقوب زكي أن الثنائية الكامنة في فلسفته تتفق مع العقائد الإسلامية مثل النقيضتين الدنيا والآخرة ، ولكن ابن شهيد يصل بين طرفي فلسفته في حدة نافذة تكاد تشبه حد المانوية ... والثنائية دائماً تقود إلى اليأس والتشاؤم ، ولعل في رأس ابن شهيد إرهاصٌ لما سيأتي بعده من عقيدة أبي العلاء المعري ، ومن الملاحظ أن تشاؤم ابن شهيد أعم واشمل من تشاؤم المعري ، إلا أنه يصل من حين إلى حين إلى درجة أعلى من التركيز والتجديد كما يظهر في شعره[xviii] .

ويتعمق ابن شهيد في طوايا النفس الإنسانية ليتبين الصلة بين النفس والجسم وارتباطها بالأدب ، إذ يعلن رأيه في أنّ البيان لا يقوم به حفظ غريب الألفاظ ومعرفة قواعد النحو فحسب بل لا بد من القوى الطبيعية التي هي مزيج من تركيب الأعضاء وصلة ذلك بالإنتاج نفسه ، وذلك في قوله من حوار بين ابن شهيد وبين تابعة تسمى بـ (العاقلة) : ((أيّها الغارّ المغرور ، كيف تحكُم في الفروع وأنت لا تحكِم الأصول ؟ ما الذي تحسن ؟ قلت : ارتجال الشعر ، واقتضاب خطبة ، على حكم المقترح والنصبة . قالت : ليس عن هذا أسألك . قلت : ولا بغير هذا أجاوبك . قالت : حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال ، وأنا إنما أردت بذلك إحسان النحو والغريب اللذين هما أصل الكلام ومادة البيان . قلت : لا جواب عندي غير ما سمعت)) [xix] .

ولهذا نجد قومية هذا الاتجاه تجعل من ابن شهيد صاحب نظرية التجديد الدائم في الأدب الأندلسي .

وعلى هذا يعد ابن شهيد أول من حاول أن يقدم تصوّراً معتدلاً في البديع وجهداً للتقعيد والتجديد الفني ، وكان منظاره للقديم والمحدث هو مقياس الفصاحة والعذوبة [xx] .

وعلى الرغم من الولاء العربي ومحاكاة الأدب المشرقي ومعارضته نرى أدباء الأندلس يحاولون أن يتجافوا النماذج المشرقية ويفاضلوا بينها وبين المغربية لظهور نظرية التجديد الدائم في الأدب ، وهذا ما أكده السيد يعقوب زكي إذ رأى أن الأندلس يجب أن يكون لها أدب خاص يناسب طبيعتها ويبرهن على إثبات وجودها ، وهذا ما دعا ابن شهيد إلى تأليف رسالة التوابع والزوابع في رحلته التي قام بها إلى أرض الجن ، إذ قام يلقي القصيدة تلو القصيدة من شعره يقارع بها عمالقة الأدب العربي في المشرق ، أو شياطين الكتاب كالجاحظ وعبد الحميد وبديع الزمان ، فيغلبهم أحيانا ، أو يستولي على إعجابهم أحياناً أخرى ، وقد سعى ابن شهيد لخلق أدب أصيل يكون أندلسياً في روحه وليس فقط في موطنه ، مما قاد إلى نبذ الاتجاهات الأدبية الواردة من بغداد ومن هذا نرى أن ابن شهيد يمثل نقلة جديدة في سماء التجديد في النثر الأندلسي[xxi].

٢. **قصة حي بن يقظان الفلسفية لابن طفيل** (ت ٥٨١ هـ) :

تعد قصة (حي بن يقظان) عمل رائد في الأدب العربي عامة والأندلسي منه على وجه الخصوص ، وسلك ابن طفيل [xxii] في تأليفه لهذه القصة مسلك أدباء الغرب في القديم والحديث ، ويرى السيد إبراهيم موسى أنّ ابن طفيل ليس هو صاحب هذه القصة ، وإنما سبقه إليها ابن سينا[xxiii] فاستعار منه الموضوع وغير وجهته الدلالية مجدداً فيه فجعله عنواناً لقصته التي عالج من خلالها (المعرفة) التي شغلت رجال الفكر قبلة علاجاً فنياً خالصاً .

وقد صرح ابن طفيل أنّه استقى موضوعه هذا من ابن سينا واقتبس منه عنوان قصته التي تحمل الاسم نفسه ولعل قصة (حي بن يقظان) لابن طفيل هي القصة الأولى بل الوحيدة في الأدب العربي القديم التي عالجت قضية فكرية في أسلوب فني [xxiv] .

ويقول الأستاذ احمد أمين أن قارئ هذه القصة يشعر من خلالها أن هناك تأثيرات يونانية وإن كانت غير مباشرة تدل على أنّ صاحب قصة (حي بن يقظان) قد استوعب الكثير مما خلفه اليونان وأبدعه العرب من بعدهم من تراث فكري بالغ الثراء [xxv] .

ولما كان ابن طفيل يتمتع بقدرة فنية وذهنية فائقة ، استطاع أن يقف من هذه الآثار العقلية موقفياً إبداعياً ظهرت فيه قدرته على الموازنة بين ما هو فكر وما هو فن ، ومن ثم جاءت قصته ذات طابع متميز أبعدته تماماً عن مآخذ ابن سينا ،

ويقول إبراهيم موسى : ((وعند النظر في قصة ابن سينا يظهر لنا أنها تتكون من رسالتين الرسالة الأولى هي (حي بن يقظان) وقد استعار ابن طفيل هذا الاسم وجعله عنواناً لقصته ثم أدار حول شخصيته أحداث الجزء الأول منها بحيث أصبح البطل الرئيس في سائر القصة والرسالة الثانية هي (البسال وسلامان) ، وقد استعارهما ابن طفيل ، ولكن لم يجعلهما عنواناً لقصة منفردة مستقلة كما فعل الشيخ أبو علي .. بل أورد حول شخصيتها أحداث الجزء الثاني من قصته الرئيسة)) [xxvi].

ويرى الدكتور مصطفى السيوفي أن ابن طفيل ظهر في قصته ظهوراً مباشراً حين ضمنها كل ما لديه من ثقافات ومعارف مختلفة ، كفيلسوف ، ومتصوف وطبيب وفلكي وأديب ، فهو فيلسوف فيما أضفاه على القصة من الصبغة الفلسفية في جزئياتها . وهو صوفي مؤمن بيقين استبان معه الطريق المقنع للتوصل إلى معرفه الله من خلال التفكير والتأمل ، وهو طبيب توصل إلى نبضات القلب وهزهزات الروح عن طريق التشريح والدراية بعلم وظائف الأعضاء .

وهو بذلك يُعدّ فلكياً من خلال حديثه عن السماء والنجوم والكواكب والأسدام والمجرات [xxvii] .

ثم يلم الدكتور السيوفي إلماماً سريعاً بالكتاب الذين تناولوا قصة (حي بن يقظان) ومنهم الشيخ ابن سينا الفيلسوف المرموق الذي انغمس في أعماق الفلسفة ، ولم يكن بينه وبين ابن طفيل سوى التشابه في الاسم والطابع الفلسفي و(وحي بن يقظان) لصاحبه السهر وردي الذي غرق بين هواجس الفلسفة في نطاق أسلوب أدبي أخاذ فقدم هذه القصة الفريدة التي كان لها الأثر الكبير على كثير من الاتجاهات الفكرية والفلسفية والأدبية ، وخاصة في أوربا فلقد حظيت قصة (حي بن يقظان) باهتمام شديد لدى فلاسفتها وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وكان تأثير قصة ابن طفيل في الآداب الأوربية كبيراً متنوع الدلالة [xxviii].

ويرى حسن محمود أن هناك تأنقاً في الأسلوب والبراعة في التعبير والسلاسة في التركيب عند ابن طفيل إذ أنه طوع اللغة لأفكاره فأدى المعنى في دقة تامة وأسلوب بارع ، لذلك لا يمكن القول بأن ابن طفيل مقلد متبع ، بل هو مجدد مبتدع ، وذلك لأن قصة (حي بن يقظان) تمجّد العقل وتمنحه الامتياز الأول في رمزه للعقل [xxix] ، والقصة هي أول قصة فكرية في أدبنا العربي .

ومن ذلك نكون قد وقفنا على أصالة ابن طفيل وطابعه القصصي المشرق ، وعرفنا خصائص أسلوبه الفني ، وقدرته على نسج قصة خيالية خرافية لإبراز هدفه الذي يرمي إليه ... ولا ننس مقدرته العجيبة على إثراء قصته بالألفاظ والمعاني الجميلة وإخضاعها لذوقه الرفيع وخياله الرحب ، الذي أبدع من خلاله وكوّن عالماً عجيباً غريباً ، جعل القصة تبرز في الأوساط الأدبية العالمية ، وقال عنه أحمد أمين أن ابن طفيل استقى معلوماته اللغوية والأدبية من كتب الأدب والمثقفين فجاءت عبارته أنصع وأبلغ [xxx].

ويؤيد هذا قول انخل بالنثيا إذ يرى أن ابن طفيل بأسلوبه العذب الذي يفيض ابتكاراً ومنطقاً وقوة شاعرية أن يخرج أثراً من أعظم ما أطلعته العصور الوسطى[xxxi].

ويرى الأستاذ عمر فروخ أنه يمكن القول إن ابن طفيل قاص عبقري في الجانب العلمي من هذا الفن كما كان مبتكراً ، لم يسبقه إليه أحد أعني صياغة المادة العلمية ، والمادة الميتافيزيقية في قصته [xxxii].

ويتبين لنا من هذه الأقوال أن ابن طفيل كان مجدداً في النثر الأندلسي عبر عبقرية الفذة التي جسدها من خلال قصة حي بن يقظان التي ترجمت إلى كثير من لغات العالم ونالت أعجاب الكثير من الأدباء .

٣. طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) :

من خلال قراءتنا لكتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف نرى أن كثيراً من الكُتّاب في التراث العربي تعرضوا للكتابة في الحب ، والذين سبقوا ابن حزم في تأليفه ، ومنهم الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في رسالته العشق والنساء ، والمسعودي (ت٣٤٣ هـ) في مروج الذهب وإخوان الصفا سنة (٣٦٠ هـ) ولهم رسالة في ماهية العشق والتوحيدي (ت ٤١٤ هـ) في الإمتاع والمؤانسة وغيرهم .

ويبقى كتاب ابن حزم في طوق الحمامة أحد الأعمال العربية القليلة التي تمثل عملاً أصيلاً لم يحاول كاتبهُ الرجوع إلى التراث الذي سبقه أو الإفادة منه في تأليفه .

ويعتقد السيوفي أن ابن حزم تأثر بالأفلاطونية على الرغم من الخلط الكثير في (الطوق) لأنه عملٌ فريدٌ لم ينطوِ تحت أي من التيارات السائدة وقت كتابته ، فجاء مختلفاً اختلافاً عما سبقه من أعمال ، لذا يعد الطوق عملا يتفرغ لدراسة العاطفة الإنسانية من حيث هي ظاهرة اجتماعية متكاملة [xxxiii].

ويقول الدكتور الطاهر مكي مما لاشك فيه أن منهاج ابن حزم في الطوق كان - إلى حد كبير - منهجاً علميا اعتمد فيه صاحبه على الملاحظة والمشاهدة والتحليل النفسي واستقصاء الظواهر واستقراء النتائج .. وهو أقدم بحث عربي تناول عاطفة الحب هذا التناول المنهجي الدقيق والمستقل [xxxiv] .

ويقول الأستاذ ليفي بروفنسال عنه أيضاً : هو تحليل نفسي نفاذ مزدان بالأمثلة .. صاغ فيه جميع معاني الحب فعبر عن العاطفة المشتعلة في حالتي الري والظمأ ، وعبر عن الآمال إذا تحققت ، وإذا أخفقت وعن الاضطراب الذي تسوقه آلاف الظروف فتعكر صفو المحبين وتفرق نجواهم [xxxv] .

وهكذا جاءت آراء الدارسين حول هذا الكتاب وما جاء فيه من تجديد في النثر الأندلسي ، ولاسيما الحديث عن ماهية الحب وأحوال المحبين ، وتكمن قيمة الطوق فيما اشتمل عليه من أفكار عن الحب وتلك الحكايات التي يرويها عنه ، وكشفه لكثير من جوانب الحياة الأندلسية كما يكشف لنا عن أسرار الحكام والرؤساء وما يدور في بيوتهم ، ويلمح لنا بطرف إلى بعض أنواع النساء مالهن من نشاطات في دنيا الحب ، كدور الدلالة والماشطة والحجامة والمغنية وما إلى ذلك ، وان مادة الدراسة في الطوق هي المجتمع الأندلسي وكل ما فيه هو مستمد من حوادث ذلك المجتمع .

وقد لاحظ الدكتور السيوفي أنّ ابن حزم اعتمد في كتابه طوق الحمامة على الاستقراء والتتبع لمجتمعه الأندلسي فيما شاهد أو سمع أو نقل إليه من حوادث تتصل بالحب وألوانه والعشق وضروبه ، وقد نلمس قدرته الفائقة في مزج الفلسفة والنصوص الإسلامية ، فهو يعتمد في أصل التعريف على الفلسفة ثم يزكيه بنصوص من القرآن الكريم أو الحديث الشريف وذلك حين يعرض لتوضيح أن أساس الحب المشاكلة في النفس العلوية قبل حلولها في الجسد كما جاء في قوله : ((أن الحب استحسان روحاني وامتزاج نفساني)) [xxxvi] ، لهذا يعتمد ابن حزم على المنهج الاستقرائي التجريبي ، وكتابه الطوق يمثل الوجهة النفسية لدراسته حول العاشقين وأحوالهم[xxxvii].

ونلحظ أن الدكتور السيوفي وهو يستعرض ما جاء في الطوق لم يبرز لنا مظاهر التجديد التي قصدها في عنوان كتابه ، لذا نجده يسرد الأحداث عن الحب والمحبين ، وأحوال المجتمع الأندلسي والمرأة القرطبية والجواري وما إلى ذلك .

ونلحظ أيضاً أن السيوفي يعد ابن حزم رائداً لحركة التنوير والإصلاح والتجديد في النثر الأندلسي ، ذلك أن نثره خرج عن القوالب الموروثة وقدم عملاً شخصياً أصيلاً – في صياغة الكلام – عبر عن آرائه وأفكاره سواء في التحليل

الخلقي أو التحليل النفسي لدراسة عاطفة الحب وبيان مظاهرها في بلاد الأندلس وخاصة في قرطبة ، فتفوق بصدق وأمانة في نقل خبراته وخلاصات تجاربه من خلال نثره [xxxviii].

وقد حدّد إبراهيم موسى بواعث التجديد في نثر ابن حزم ، ورأى أن قسماً منه يعالج الأفكار والنظريات من خلال تحليله عاطفة الحب تحليلا دقيقا ، والقسم الآخر يعالج تجارب موضوعيه عامة لا تتسم بالخصوصية ويظهر فيه التعبير وبراعة التصوير ، ويظهر في الطابع الأدبي المصقول ، ويأتي السيد إبراهيم بأدلة ونصوص من الطوق لدعم رأيه ، ويرى أن أسلوب ابن حزم هو أسلوب مرسل لا يعني كثيرا بزخرفة اللفظ وتزويق الكلام كما يرى النقاد أن نثر ابن حزم هو آيته الأدبية في الروعة وانه كان ذا نظر ثاقب في نقد الأساليب ، وتعبير المذاهب النثرية ، وهو في ذلك يعدّ من طليعة مدرسة النثر الفني الأندلسية ودليل من أدله العالمية في الأدب العربي ، ويرى بعض المؤرخين أنّ نثر ابن حزم لا يكاد يفترق عن شعره من ناحية الجرس والموسيقى الداخلية والسلاسة التلقائية والسهولة الممتنعة ، وغنيٌّ عن البيان أن ابن حزم في كتابه هذا الذي دوّن فيه اعترافاته الشخصية واعترافات بعض أصدقائه ، لم ينسحب فيه على أذيال غيره ، وأن هذا الجانب من (طوق الحمامة) يعد فناً جديدا في جنس النثر من الأدب العربي [xxxix].

التجديد في فنون أندلسية أخرى

١. المحاورات والمناظرات الخيالية :

ظهرت المحاورات بدايةً في الأدب المشرقي ، إلا أنها جاءت قليلة ومحدودة قياسا لهذا الأدب الذي يمتد إلى مساحة واسعة في التراث العربي وعمق حضاري بعيد المدى وكان بداية المناظرات عند الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كمناظرة صاحبي الكلب والديك ، وعند الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) والتي قصد منها الموازنة المعروفة بين أبي تمام والبحتري ، ولكن المناظرات في الأندلس أخذت منحىً جديداً وجاءت بشمولية أوسع على مستوى الأدب ، ويتضح ذلك جليا في مناظرتهم الخيالية كما هو الحال عند ابن برد الأصغر (ت ٤٤٠ هـ) في مناظرته بين السيف والقلم وابن الأبّار والحميري في المفاضلة بين الورد والأزهار وتقديم البهار على غيره ، ويعود سبب هذا إلى طبيعة الأندلس الجميلة الساحرة ، ومن صناعة القول والتفوق فيه أخذ الأندلسيون المفاضلة بين المدن لنزعتهم الوطنية والقومية والتباهي والافتخار بمدنهم الجميلة ، وهذا التعبير لم يعرف في المشرق العربي على الوضع الذي صار إليه في الأندلس ، ويؤكد الدكتور عبد السلام سرحان ((أن الأندلسيين كانوا هم السادة والقادة ولهم الريادة في اختراع المناظرات بين المدن كما فعل أبو بحر صفوان ابن إدريس في رسالته التي كتبها للأمير عبد الرحمن بن سلطان يوسف بن عبد المؤمن وكذلك بيّن أنواع الحيوانات وأصناف الأدوات وكان هذا اللون لديهم أكثر ، ولذلك ذكروا به حتى نسب إليهم دون سواهم)) [xl] .

ومن هذا يرى الدكتور السيوفي أن هذه النماذج من المحاورات أو المناظرات تناولت جملة محاور بين الورد والزهر [xli] ، أو بين المدن والأقاليم [xlii] ، أو ما كان من أمر محاورة الخليفة الناصر والقاضي المنذر بن سعيد [xliii] .. وهذه المحاورات نادرة في بابها وموضوعها وأسلوبها وطريقة تناولها تدل على خيال محلق وذوق حسن وبراعة اختيار للألفاظ واستبطان لمواقع القول في ثوب قصصي جميل[xliv] ، ويعتقد أن هذا اللون من المناظرات هو أندلسي أصيل لم يعرفه المشارقة إلا بعد اقتباسهم نماذجه من الأندلس [xlv].

٢. المناظرات بين بلدان الأندلس :

للكاتب أبي بحر صفوان بن إدريس باع طويل في مناظراته بين المدن الأندلسية ، فهو يسرد لنا في أسلوب قصصي مقولة عن كل مدينة فيصف حسنها وفضلها وما تستحق التفضيل على بقية المدن ، معززاً مناظرته بأبيات من الشعر وآيات من القرآن الكريم تتناسب مع ما جاء به من إجادة للوصف وحسن تعبير وتجديد في رحاب النثر الأندلسي .

وكان يؤلف بين السجع ما يوافق الطبع ويعلق بالنفس فلا يبدو عليه كلفة وأنه يواسي بين سجعة من سجعاته وآية من التنزيل الحكيم ، وبهذا كان متفوقاً في التجديد النثري على بقية كتاب الأندلس في وصف المدن وتفضيل بعضها على البعض الآخر ، مع اختياره لحسن التشبيه والإجادة في استخدام البديع ؛ ومن ذلك قوله مفضلاً قرطبة : ((وإذا بقرطبة تكاد تنفطر من الغيظ فترميهم بالنظر الشزر وتقول :

.....

كلام العدا ضرب مـــــــن الهذيان

وأنى للإيضاح والبيان ، متى استحال المستقبح متحسناً ﴿ أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ يا عجباً للمراكز تقدم على الأسنة !! إن ادعيتم سبقاً ﴿ فما عند الله خيرٌ وأبقى ﴾ ، لي البيت المطهر الشريف ، والاسم الذي ضرب عليه رِواقُهُ التصريف ، في بقعتي محل الرجال الأفاضل ، فليرغموا أنف المناضل ، وفي جامعي مشاهد ليلة القدر ، فحسبي من نباهة القدر .. فاقروا لي بالأبوة ، وانقادوا إلي على حكم النبوة ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ﴾ وكفوا عن تباريكم ﴿ ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم ﴾)) [xlvi] .

٣. مناظرة السيف والقلم :

كتب هذه المناظرة الأديب البارع ابن برد الأصغر (ت ٤٤٠ هـ) إلى الموفق أبي الجيش مجاهد واتخذت شكل المناظرة بين السيف والقلم ، وقد دلّت على سعة خيال كاتبها وحسن ذوقه في اختيار الألفاظ ومعرفة موقع الكلام وكان من الكتاب الذين يميلون إلى الأساليب القصصية ، وربما لم يكن لهذه الأساليب نظير في أدب المشارقة [xlvii] .

أضف إلى ذلك أن ابن برد الأصغر أراد أن يوحي بدلالات رمزية إلى الأحوال السياسية ، ويرغب في التسوية بين أرباب القلم أي الكتاب ورجالات الجيش ، ويشير في إضمار خفي إلى طبقات الكتاب ويود أن تكون لهم مكانه عند

السلطان وان يقر الجميع بمكانة الكاتب بما فيهم الجند ، ونالت هذه المناظرة إعجاب الكتاب في زمانه ، وبهذا يكون ابن برد الأصغر مجددا في النثر الأندلسي عبر مهارته العالية في الأدب [xlviii] .

٤. المحاورات بين الورد والنواوير :

عرفت الأندلس هذا اللون من فنيات التعبير الذي لم يقدر للأدب المشرقي أن يعرفه ، وظهر هذا اللون على يد كتاب الأندلس في بداية القرن الخامس الهجري .

وقد أجاد المحاورة ثلاثة من كتاب الأندلس المشهورين ومنهم ابن برد الأصغر الذي فضل الورد على غيره من النواوير ، وأبو الوليد الحميري في تفضيل البهار على أنواع الورد ، ومحاورة الجزيري الذي فضل بنفسج العامرية على البهار والنرجس ، ونرى من خلال عرض الدكتور السيوفي أن أبا حفص ابن برد كتب إلى الوزير أبي الوليد بن جهور واضعا بين يديه خمسة من ألوان النوار قاصدا تفضيل الورد وتقديمه عليها ، ويحاول الكاتب جمع أقوال الأزهار وهي كلها تدين لابن جهور بالولاء والطاعة ، وكانت الغاية واضحة ، إذ أراد ابن برد مدح الخليفة والولاء له بطريقة الرمز الذي قصده على لسان الورد والأزهار ، وهذه من فنيات النثر الأندلسي الذي لم يقدر لأدبنا المشرقي أن يرى هذا اللون من التعبير ، أضف إلى ذلك أن مضمون المحاورات الأندلسية لم يقف عند صنوه المشرقي في المسائل الأدبية أو الاجتماعية ، بل تعداها إلى هذا اللون في محاورات الأزهار والورد ، وهذا هو التجديد الذي تبناه كتاب الأندلس ، إذ كان فارس هذا الميدان هو أبو حفص بن برد ، مخترع هذا الفن وأول من كتب في هذا الموضوع وجدد وأضاف ، وهذا يدل على سعة خيال الأديب وحسن ذوقه في انتقاء الألفاظ واختيارها ، أضف إلى ذلك أنه يميل إلى الأسلوب القصصي الذي لم يعرفه الأدب المشرقي والذي فتن فيه الأندلسيون وهو المحاورات بين الأزهار وتناول بعده كثير من كتاب الأندلس ونسجوا على المنوال نفسه .

وقد دل فكر المحاورة على سعة عقلية الكاتب التي مثلت اتجاه العقل في عصره ، واستنطاق أزهار الطبيعة [xlix] .

ونلاحظ من خلال عرض أبي الوليد الحميري في تفضيل البهار [l] ، ومحاورة أبي مروان الجزيري في تفضيل بنفسج العامرية [li] ، هي رموز سياسية تعبر عن الولاء والطاعة للخليفة أو الأمير ، أو كان الكاتب يقصد المعارضة كما فعل الحميري في محاورته لمعارضة أبي حفص بن برد وقد ضمنها كثير من شعره على لسان الورد وكان يقصد من هذا إظهار براعته الأدبية وقدرته الشعرية علما أن الحميري ألف كتاباً بهذا الاتجاه سماه (البديع في وصف الربيع) وهذا يدل على شدة حبه للإزهار والنواوير .

وفي محاورته نلاحظ أنّ أسلوبه يشفّ عما وراءه من حسن اختيار للألفاظ والتراكيب والقدرة على المعارضة لهذا الجنس الأدبي والمتميز . ثم أراد من خلال عرضه لهذا الفن التميز على أقرانه من الأدباء في عصره ، وبعدها يدعو إلى الرمز الذي يوحي به التخلص مما علق بالنفوس من حقد وحسد دفين في النفس البشرية من خلال محاورته ، أضف إلى ذلك أنه وفّق في حل الأبيات الشعرية ، واستخدام الحكم والأمثال ، والتفنن بأساليب البيان من استعارة وتشبيه ومجاز ، وهذا يدل على سعة خياله وعرضه للمحاورة بأسلوب قصصي ممتع فهو على وفق هذا المنظور يعد من المجددين في النثر الأندلسي [lii] .

٥. محاورة أبي بروان الجزيري في تفضيل بنفسج العامرية :

وفي هذه المحاورة يكتب أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري على المنصور بن أبي عامر محتكما إليه في تفضيل بنفسج العامرية على البهار والنرجس وأراد من خلال هذه المحاورة مدح المنصور بن أبي عامر بما يناسب مقامه ومكانته في نفسه بلسان حال البنفسج .

ويذكر الدكتور السيوفي أنّ هذه المفاهيم قد استقرّت وينبغي أن تراعى في حق المحاورة أو المناظرة في نفوس الأندلسيين وأجادوا من خلالها هذا الفن النثري الرائع ، وقد حققوا مآربهم من خلال الرموز التي وظفوها في خدمة المناظرة وحققوا غايتهم .

وإذا كان القصد من وراء مناظرة السيف والقلم هو الرمز والتشخيص وهي إشارة إلى المكانة التي يجدر أن تكون لأرباب القلم وأساطين البلاغة ، وخلص من ذلك إلى الموافقة بين أصحاب السيف والمتمهرين في صناعة الكلام وبهما تتقدم الأمم وتزدهر الحياة ويكتب لها في سجل الخلود صفحات من نور ، ومناظرة أبي بحر صفوان بن إدريس بين بلدان الأندلس وأقاليمها ومحاورات بين النواوير والأزهار فمن مفضل الورد على الأزهار ، ومن مقدم للبهار على غيره ، ومن مستحسن للنرجس على سواه ، ومثل هذه المناظرات في العواطف الإنسانية النبيلة ، أو مناظرات الفقهاء والفلاسفة ، أو ما كان بين الحكام وأفراد الرعية وفي معارضات الكتاب لبعضهم هذا اللون من التعبير جديد في بابه وأسلوبه وموضوعه عرف لكتابه القرن الخامس الهجري في الأندلس ومرده إلى الطبيعة الساحرة الموحية بكل فن قولي تصويري جميل [liii] .

الخاتمة

نعم الفكر الأندلسي بنهضة كان من أولويات مظاهرها تفرد الشخصية الأندلسية في الإبداع والتجديد الفني حول نتاج المعرفة ، وذلك بفضل ما أتيح لها من حرية فكرية وآفاق معرفية ولا سيما في القرن الخامس الهجري الذي يعد باكورة النهوض في مختلف ميادين المعرفة ، وقد نتج عن تلك الميادين المعرفية شتى الثقافات التي انعكست في وحي خيالهم ومختلف رؤاهم ليصوغوا الحقائق العلمية في صور قريبة من الخيال يتخللها أمتاع للنفس وإثارة للحس وتحريك للشعور ، وقد تجلى هذا في رسالة ابن شهيد التي وسمها بـالتوابع والزوابع تلك القصة الأدبية المعروفة التي امتازت بالتحليل والتدليل والقصص والنقد ، لذلك تعد هذه القصة طفرة كبيرة في الأدب الأندلسي التي ظهرت في مطلع القرن الخامس الهجري ، إذ أن المشرق العربي لم يعرف هذا النتاج الأدبي إلا بعد ظهورها على يد ابن شهيد ، ومن مظاهر التجديد نلحظ المحاورات والمناظرات في الأدب الأندلسي والتي تبناها زعماء من الكتاب الأندلسيين المشهورين آنذاك وسبب ذلك يعود طبيعة بلادهم الساحرة التي أظهرت مكنون النفس لدى الكتاب فأبدعوا بهذا الاتجاه الذي لم يعرفه كتاب المشرق إلا بعد أن استوى عوده في الأندلس ، فهو نتاج أندلسي أبدعته عقول كتابه من خيالهم الرحب الذي اتجه إلى التنوع بين قوة العبارة وصواب المعنى ودقة التشبيه وبراعة التمثيل .

ونلحظ أيضاً من مظاهر التجديد فن الرسالة الأندلسية ، وأن تباينت في أطرها العامة ومضمونها لاختلاف ظروف الحياة وأحوال المعيشة ، فقد مثلت جوانب الموازنة بين المؤلفات المشرقية والأندلسية في بعض الفنون ، وإذا أنعمت النظر في تلك الرسائل وجدت بين برديها اللفظ المنتقى والعبارة الرشيقة ، والمعان المبتكرة ، والخيال المملق ، والفكر العميق ، وكانت بحق تمثل صورة صادقة بل واحدة ومستنبطة لأحاول المجتمع الأندلسي في شتى معارفه الإنسانية ، ومن وحي تلك المعرفة والثقافة والخيال الرحب والإبداع المتجدد الذي صاغ الحقائق العلمية إلى صور قريبة من الخيال فيها إمتاع للنفس وإثارة للحس وتحريك للشعور ، وتجلى ذلك في قصة حي بن يقظان لابن طفيل الذي اعتقد تدرج الإنسان في مراتب الكمال بثوب قصصي رائع جميل ، وبمثل هذا الاتجاه القصة الفلسفية في الأدب الأندلسي ، وقد جاء إبداع ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ليعبر عن ماهية الحب في كتابه المشهور طوق الحمامة في الألفة والآلاف وكان بحق رائداً للتجديد والإبداع وأول ظهور لكاتب أندلسي يكتب عن الحب والمحبين على الرغم من أنه يعد صاحب المذهب الظاهري في الإسلام آنذاك ، وحاول ابن حزم في مؤلفه هذا أن يخرج من تبعية التقليد المتواتر الذي كان يسود مناهج التأليف إلى أفق جديد يخرق سلم المعايير المألوفة بتوجهه كونه فقيهاً ومحدثاً ومؤرخاً ، وكان يزعم في تأليفه هذا انه لا يتعارض مع توجهه الفقهي ومع تعاليم الشريعة السمحاء ، لهذا يعد أول أديب يعرض أدارته العاطفة الغزرية ، دون أن يلقى بالأخبار الحاشدة عن عشاق العرب وأقاويلهم الشعرية ، ولم يعول إلا على تجاربه ومشاهداته وتنظيره وملاحظاته التي استوحاها من خلال حياته وتجاربه مع النساء ، أما المقامة الأندلسية فقد شغلت حيزاً كبيراً أبانت به قدرات الكتاب الأندلسيين في معارضة هذا اللون التعبيري في أول الأمر ، ثم إبرازهم بصورة تطغى على المقامة المشرقية نفسها ، فإذا بالمقامة الأندلسية في الأعم الأغلب تظهر وقد انتفى منها أسلوب أسلوبية والمكدين والحيل التي تقترن بذلك ، وتنزع إلى نقد العيوب الاجتماعية في المجتمع الأندلسي والدعوة إلى وضع دستور خلقي يعد نبراساً لحياة وأدب وسلوك اجتماعي جديد ، وتعد كذلك تعقيداً أبجديات النقد الأدبي والمفاضلة بين الشعراء والإيضاح للرأي الأدبي بوجه عام ، والمعارضة لمقامات بديع الزمان الحريري وجل هذه الاتجاهات لم تعرفه المقامة المشرقية على امتداد زمنها مما جعلنا نؤكد على صراحة تفوق المقامة الأندلسية على سميتها المشرقية ، وتعد هذه الأمور علامة تجديد في النثر الأندلسي بوجه عام وفي المقامة الأندلسية بوجه خاص ، وهذه خاتمة بحثنا الذي كشف عن إطار الصورة الأدبية في النثر الأندلسي وبراعة كتابها على تلوين ألفاظ صورهم بأصباغ استوحاها الأندلسيون من منظور بيئتهم الطبيعية في المحاكاة والمعارضة وفي فنونهم التصويرية حتى احكموا التشبيه ودققوا في الاستعارة وبرعوا في الوصف وهذا سر مظهر تجديدهم وإبداعهم .

هوامش البحث :

[i]) ينظر : أمراء البيان ، محمد كرد علي ، ٢٨/١ . (
[ii]) ينظر : تاريخ آداب العرب ، محمد صادق الرافعي ، أخرجه محمد سعيد العريان ٢٦٧/٢٦٢ . (
[iii]) الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د. شوقي ضيف : ٣٢٠ .(
[iv]) ينظر : م.ن : ٣٢٠ .(
[v]) ينظر : تاريخ الفكر الأندلسي ، انخل بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس : ١٨١ . (
[vi]) ينظر : تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات – الأندلس) ، د. شوقي ضيف(٣١٣ . :
[vii]) ينظر : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، د. محمد رضوان الداية(: ٦٦)
[viii]) ينظر : م.ن : ٦٦ .(
[ix]) ينظر : النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د. زكي مبارك : ٢٦٤ – ٢٦٥ .(
[x]) ينظر : النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، د. حازم خضر عبدالله : ٥٢٧.(
[xi]) ينظر : م.ن : ٥٢٧-٥٢٨ . (
[xii]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي ، د. مصطفى السيوفي : ١٠-١١ . (
[xiii]) ينظر : تجديدات الأندلسيين في النثر العربي ، إبراهيم موسى حاسر السهلي ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، إشراف : أ.د. عبد البصير عبدالله حسن ، (رسالة ماجستير) ، ١٩٩٧ .
[xiv]) ينظر : إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، د. صلاح خالص : ٨٦ . (
[xv]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ٨٦ ؛ تجديدات الأندلسيين في النثر العربي : ٩٠ . (
[xvi]) بلاغة العرب في الأندلس ، د. أحمد ضيف : ٨٥ . (
[xvii]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ٩٦ . (
[xviii]) ينظر : ديوان ابن شهيد ، تحقيق يعقوب زكي : ٧٠ . (
[xix]) رسالة التوابع والزوابع ، ابن شهيد الأندلسي (ت ٤٢٦ هـ) ، صححها وحققها وشرحها وبوبها بطرس البستاني : ١٥١ . (
[xx]) ينظر : تجديدات الأندلسيين في النثر العربي : ١٣٥ . (
[xxi]) ينظر : ديوان ابن شهيد : ٦٧ . (
[xxii]) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل الأندلسي ، اشتهر بالفلسفة والطب (ت٥٨١هـ) ، ينظر : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) ، تحقيق : محمد سعيد العريان : ١٧٢-١٧٣ . (
[xxiii]) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا (ولد ٣٧ هـ) في قرى بخارى ، برع في الطب والفلسفة والرياضيات (ت ٤٢٨ هـ) في همدان ، ينظر : عيون الأنباء ، ابن أبي إصبعه : ٢/٢ .
[xxiv]) ينظر : تجديدات الأندلسيين في النثر العربي : ٢٥٥-٢٥٦ . (
[xxv]) ينظر : حي بن يقظان ، ابن طفيل ، تحقيق أحمد أمين : ١٧ وما بعدها . (
[xxvi]) تجديدات الأندلسيين في النثر العربي : ٢٥٨ . (
[xxvii]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ١٢١ . (
[xxviii]) ينظر : م.ن : ١٢١ - ١٢٢ . (
[xxix]) ينظر : حي بن يقظان وروبنسون كروزو : دراسة مقارنة ، حسن محمود عباس : ٣٣ . (
[xxx]) ينظر : حي بن يقظان ، ابن طفيل : أحمد أمين ١٢ . (
[xxxi]) ينظر : تاريخ الفكر الأندلسي : ١١٩ . (
[xxxii]) ينظر : ابن طفيل وقصة حي بن يقظان ، د. عمر فروخ : ١٢ . (
[xxxiii]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ٥٠١-٥٠٢ .(
[xxxiv]) ينظر : ابن حزم قمة إسبانية ضمن الأدب الأندلسي من منظور إسباني ، سانتشت ألبرنس ، ترجمة : د . الطاهر أحمد مكي : ٢٠٤ . (

[xxxv]) ينظر : أدب الأندلس وتاريخها ، ليفي بروفسنال ، نقلها إلى العربية : محمد عبد هادي شعيرة : ١٠ .
[xxxvi]) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ابن حزم ، تحقيق : د. الطاهر أحمد مكي : ٧ .
[xxxvii]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ٥٠٧ – ٥٠٨ .
[xxxviii]) ينظر : م.ن : ٥٢٤ .
[xxxix]) ينظر : تجديدات الأندلسيين في النثر العربي : ٢٤٨ – ٢٤٩ .
[xl]) من طرائف الأدب العربي ، د. عبد السلام سرحان : ٢٣٩ .
[xli]) ينظر : البديع في وصف الربيع ، إسماعيل بن حبيب الحميري (ت ٤٤٠ هـ) ، تحقيق : هنري بيريس : ٥٣ – ٥٧ .
[xlii]) ينظر : زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر ، أبو بحر صفوان بن إدريس ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٠ : ١٤ وما بعدها .
[xliii]) ينظر : تجديدات الأندلسيين في النثر العربي : ٢٤٨ – ٢٤٩ .
[xliv]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ١٢٩ .
[xlv]) ينظر : م.ن : ١٢٩ .
[xlvi]) ينظر : زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر : ١٤ .
[xlvii]) ينظر : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : القسم الأول (٢ / ٤٣٦) .
[xlviii]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ١٣٦-١٣٧.
[xlix]) ينظر : م.ن : ١٤١ – ١٤٢ .
[l]) ينظر : البديع في وصف الربيع : ٥٣ .
[li]) ينظر : م.ن : ٧٨ .
[lii]) ينظر : م.ن : ١٤٦ – ١٤٧ .
[liii]) ينظر : ملامح التجديد في النثر الأندلسي : ١٥٥ .

المصادر والمراجع

١. ابن حزم قمة إسبانية ضمن الأدب الأندلسي من منظور إسباني ، سانتشت ألبرنس ، ترجمة : د . الطاهر أحمد مكي ، مكتبة الآداب ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
٢. ابن طفيل وقصة حي بن يقظان ، د. عمر فروخ ، دار لبنان ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
٣. أدب الأندلس وتاريخها ، ليفي بروفسنال ، نقلها إلى العربية : محمد عبد هادي شعيرة المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١ .
٤. إشبيلية في القرن الخامس الهجري : دراسة أدبية تاريخية ، د. صلاح خالص ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
٥. أمراء البيان ، محمد كرد علي ، طباعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
٦. البديع في وصف الربيع ، إسماعيل بن حبيب الحميري (ت ٤٤٠ هـ) ، تحقيق : هنري بيريس ، المطبعة الاقتصادية ، ط ٢ ، المغرب ، ١٩٤٠ .
٧. بلاغة العرب في الأندلس ، د. أحمد ضيف ، دار المعارف للطباعة والنشر ، ط ٢ ، سوسة – تونس ، ١٩٩٨ .
٨. تاريخ آداب العرب ، محمد صادق الرافعي ، أخرجه محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
٩. تاريخ الفكر الأندلسي ، أنخل بالنثيا ، تعريب د. حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
١٠. تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات – الأندلس) ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

١١. تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، د. محمد رضوان الداية ، دار الأنوار ، ط ١ ، بيروت – لبنان ، ١٩٦٨ .
١٢. تجديدات الأندلسيين في النثر العربي ، إبراهيم موسى ، رسالة ماجستير ، ١٩٩٧ .
١٣. حي بن يقظان ، ابن طفيل ، تحقيق : أحمد أمين ، دار المعارف ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
١٤. حي بن يقظان وروبنسون كروزو ، دراسة مقارنة ، د. حسن محمود عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٣ .
١٥. ديوان ابن شهيد ، تحقيق : يعقوب زكي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
١٦. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ، (ت ٥٤٢ هـ) ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٥ .
١٧. طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم ، تحقيق : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٦٤ .
١٨. عيون الأنباء ، ابن أبي إصبعه ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
١٩. الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٨ ، مصر ، ١٩٧٧.
٢٠. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
٢١. ملامح التجديد في النثر الأندلسي ، د. مصطفى السيوفي ، عالم الكتب ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٥ .
٢٢. من طرائف الأدب العربي ، د. عبد السلام سرحان ، مطبعة الفجالة الجديدة ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ .
٢٣. النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، د. حازم عبدالله خضر ، دار الرشيد للنشر ، بغداد – العراق ، ١٩٨٢ .
٢٤. النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، د. زكي مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٥.